

المصادر الغربية والعربية القديمة والتاريخ العربي القديم

أ. د. بلقاسم رحمانى

(كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر)

تعد الكتابات الغربية والعربية القديمة من المصادر التاريخية التي يعتمد عليها المؤرخون المهتمون بالتاريخ القديم، ولأهميتها في كتابة تاريخ العالم القديم فإننا نلاحظ أنها حظيت بترجمات ودراسات عديدة، وفي هذا الصدد نحاول أن نجيب عن سؤال ظل المختصون يطرحونه، وهو: هل اهتمت هذه الكتابات بتاريخ شبه الجزيرة العربية؟ وهل كان ذكرها للمنطقة عرضا هامشيا، أم تركيزا مباشرا؟

I- المصادر الغربية:

أ- المصادر الإغريقية:

إن الدارس لهذه الكتابات، وما أوردته عن شبه الجزيرة العربية فإنه يجد أن هذه الكتابات بدأ اهتمامها بشكل أساسي منذ أواسط القرن الخامس ق. م، ورغم ذلك فإننا نجد عدة إشارات عن العرب لدى اليونان الأوائل، إلا أنها إشارات محدودة معدودة، يمكن حصرها في خمس إشارات: اثنتان وردتا في ملحمة الأوديسة المنسوبة إلى هوميروس (Homeros) الذي يعتمد في شعره على تراث يوناني ينتهي في أواسط القرن التاسع ق. م، والثالثة وردت في أشعار هزiodوس (Hesiodos)، وهي أشعار ترجع إلى ما بعد هذه الفترة، بما يقرب من قرن، واثنان في مسرحيتين للشاعر المسرحي اسنخيلوس وترجعان إلى الفترة الأولى من القرن الخامس ق. م.

والملاحظ أنها إشارات مبثورة ذكرت كلها في لفظة واحدة، واثنان دلالتها غير محدد، وأخرى غير واضحة، رغم ذلك فإن لهذه الإشارات دلالات تاريخية هامة عن شبه الجزيرة العربية، ولعل من أهم هذه الدلالات هي أن سكان شبه الجزيرة العربية لم يكن بينهم وبين أيونان اتصال مباشر، لذلك فإن حديث اليونان عنهم ظل غامضا.

إلا أن أشهر ذكر للمنطقة يوصف بالمفصل والمطول، جاء به المؤرخ اليوناني هيرودوت (Herodotus)، حيث أطلق كلمة باد العرب (Arabia) على شبه الجزيرة العربية والقسم الداخلي من سوريا، وشبه جزيرة سيناء، وصحراء مصر الشرقية "الواقعة بين النيل والساحل الغربي للبحر احمر" سماها بعض الكتاب بصحراء العرب، والملاحظ أنه خص بحديثه الجزيرة العربية، من ذلك أنه يقول: "إن بلاد العرب هي أقصى البلاد المعمورة في العالم نحو الجنوب"².

أيضا يقول: "إن أريج الطيوب يملأ جو هذه البلاد..."³، كما أن حديثه عن العرب ومنطقة شبه الجزيرة العربية جاء مشتتا عند مقارنته المنطقة مع المناطق والشعوب الأخرى، ورغم اعتماد هيرودوت على الرواية في كثير من المواضع، فإن الكثير من المعلومات التي أوردها تؤكد الباحثون من صحتها، خاصة ذكره لموقع البلاد وتربتها، وعادات العرب وتقاليدهم، وعقائدهم الدينية، وملابسهم وسلاحهم وطرقهم في الحرب.

وذكر إشارات عن علاقاتهم الخارجية مع الأشوريين والفرس، وفصل في منتجاتها مثل اللبان (Libanos)، والمر (Smyrno)، والقصيعة (Kassia)، والقرفة (Kinnamon)، واللدان أو المستكة (Ladanon)⁴، كما أورد أن العرب تاجروا في هذه الطيوب والتوابل مع بلاد أخرى، ومن خلال حديثه نستنتج أن الفينيقيين خلال هذه الفترة لازالوا وسطاء في تجارة الطيوب بين شبه الجزيرة العربية، والعالم اليوناني، إلى الموانئ الفينيقية واليونانية⁵.

والملاحظ أن قسما من هذه المعلومات كان نتيجة لملاحظاته الشخصية عن الأماكن التي مر بها أثناء انتقاله إلى أماكن عديدة من الشرق الأدنى القديم لأجل تدوين تاريخه خاصة المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية، كذلك حديثه عن البخور والطيوب الآتية من جنوب شبه الجزيرة العربية، ولقد استند في ذلك على المجتمع اليوناني الذي كان يستهلك قدرا لا بأس به من البخور والطيوب، ولذلك كان على علم بمصدر هذه السلع وتجارها.

وهنا نسجل أنه بالرغم من كونه أحد الكتاب القدامى الذي أعطانا معلومات تفصيلية عن شبه الجزيرة العربية، وبالتالي يوصف حديثه بالموسعي، إلا أنه اعتنى

فيه بالقضايا المجردة أكثر من اعتناؤه بالمعلومات المحددة التي تعرف القارئ بالقبائل والأماكن والطرق والمسافات. واستمرت هذه الكتابات إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أدت حركت التخصص العلمي التي تطورت لدى المفكرين اليونان إلى تغيرات في منهجية الكتابة التاريخية، تبع ذلك انتقال شبه الجزيرة العربية من حافة الاهتمام خاصة عقب توسعات الإسكندر - لدى المؤرخين، حيث أن هذه المرحلة دفعت الكتاب القدامى إلى جعل شبه الجزيرة العربية في صلب اهتماماتهم.

لقد كانت من استعدادات الإسكندر المقدوني لغزو المنطقة أن أرسل بعثات استكشافية لسواحل شبه الجزيرة العربية، ولقد سجل هذه المعلومات كل من بطليموس (Ptolemais)، وأرستوبولوس (Aristoboulos)، وهما من ثقات الإسكندر ورفاقه، ومعلوماتهما وصلت الباحثين عن طريق كتاب قديم لاحق هو أريانوس (Arrianos)، وبقيت المعلومات عن طريق كتاب قديم آخر هو سترابو (Strabo) 6.

ومن خلال كتاب هذه المرحلة يمكننا أن نستنتج أن مساحة شبه الجزيرة العربية قاربت مساحة الهند، وساحلها المطل على البحر الأحمر الممتد من خليج أيلة (العقبة) إلى مدخل البحر الأحمر الجنوبي طوله 14 ألف ستاديون (حوالي 2590 كلم)، وأن سواحلها لا تصلح لإقامة المرافق والمدن، كذلك الأماكن التي وصل إليها الإسكندر شرق شبه الجزيرة العربية، وجزرها الغربية، وكذا عادات وموارد السكان، وأهمها الطيوب والتوابل وأماكن انتشارها، والملاحظ أن هذين الكتابين قد أبانا على تفاصيل إضافية عن مدى اهتمام الإسكندر بالمنطقة من شتى نواحيها.

وفي نفس الفترة ظهر كاتب آخر اختص بالتاريخ الطبيعي، وهو أحد تلاميذ أرسطو، وخليفته في رئاسة معهد اللوقيون (Lykeon)، إنه الكاتب ثيوفراستوس (Theophrastos)، وهو أول من ذكر السبئين، وتكلم عن المرواللبان بشك تفصيلي، وأورد معلومات عن التجارة السبئية وسفنهم، ويظهر أنه اعتمد على المعطيات التي أوردتها مساعدي الإسكندر في تقاريرهم إلى معهد اللقيون، حتى بعد وفاته.

إننا نسجل خلال الفترة اللاحقة، والمعروفة بالعصر المتأغرق كثرة الاهتمام لدى الكتاب القدماء بالمنطقة ظهر ذلك في ظل صراع اقتصادي بين الدولتين المتأغريقيتين، دولة البطالمة في مصر، ودولة السلوقين سوريا، حول الطرق التجارية التي تربط بينها، وشبه الجزيرة العربية، ويعد ميناء الإسكندرية من أبرز الموانئ النشطة تجارياً في شرق المتوسط، ومن أقطاب الحركة العلمية التي جذبت إليها العلماء خاصة، وأنها اشتهرت بمكتبتها.

ومن أبرز أمناء المكتبة الجغرافي إيراتوستثيس (275-194 ق م) (Eratosthenes)، وقد دلت كتاباته الخاصة بشبه الجزيرة العربية على اهتمامه الاقتصادي والعلمي الجدي بالمنطقة، ولعل أبرز دليل على ذلك هو التقسيم الدقيق لشبه الجزيرة العربية، حيث نجد القسم الأول، وهو بلاد العرب الصحراوية (Arabia Ermoni)، وبلاد العرب الميمونة (Arabia Eudaemon)، يفصل بينهما خط يبدأ من ميناء السويس إلى بابل 9، كذلك فالكاتب قدر طول هذه الخط، ومقداره المسافة بينه وبين سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى تحديده لطول ساحل شبه الجزيرة العربية، المطل على البحر الأحمر، كما قسم المنطقة من الشمال إلى الجنوب حسب نوع الحياة التي يمارسها السكان، بدءاً بالفلاحين ثم البدو (سكان الخيام)، إلى الزراعة المكثفة في الجنوب التي تتم مرتين في العام حيث توجد أنهار 10.

ويحتم الكاتب حديثه فبذكر القبائل (الأقوام) الرئيسية التي كانت توجد في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهم المعينيون (Minaioi)، والسبئيون (Savaoi)، والقتبانيون (Katabaeis)، والحضارمة (Chatramptitae)، محددًا أماكن تواجدها وتواجد عاصمتها وطبيعة حياتهم السياسية، كما فصل في الحديث عن مواردهم الاقتصادية، وتخطيطهم للطرق التجارية البرية والبحرية التي تصل إلى ميناء (جرها) في شمال شرق الخليج العربي، وميناء أيلة (خليج العقبة)، والكاتب الآخر الذي يعود لهذه الفترة هو أجاثار خديس (Aga Tharchiodes) II، وهو يوناني كان على علاقة بالبطالمة، ذكر شؤون شبه الجزيرة العربية خلال هذه الفترة.

وفي نهاية القرن الثاني ق. م (الثلث الأخير منه)، ظهر كتاب تحت اسم "الطواف حول البحر الأريثري" لمؤلفه إغريقي مجهول والذي يصف فيه الكاتب سواحل

البحر الأحمر بما فيه الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، وهذا النوع من الكتب عرف باسم كتب الطواف (Periploi)، والتي ظهرت في العصرين اليوناني والروماني كدليل للملاحين والتجار، وظهور هذا الكتاب يدل على مدى كثافة النشاط التجاري بين الدول المتأغرقة، وبين شبه الجزيرة العربية، ولعل ما يلفت انتباهنا هو التفصيل الذي أورده الكتاب حول المناطق الطيوب والتوابل، خاصة إسهامه في ذكر موارد وثروة سبأ، وبذخ سكانها (الطبقة الأرستقراطية)¹². وأما الكاتب أرتيمدوروس (Artemidoros)، فإنه تناول في كتاباته بالإسكندرية شؤون شبه الجزيرة العربية، لتعريف المثقفين بها، حيث يلاحظ اعتماده على (أجاثار خيديس)، إلا أنه أورد بعض المعلومات الجديدة حول الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية أحصى¹³ موقعا، وذكر ثمانية أقوام بالمنطقة، كذلك ذكر كيفيات انتقال التجارة -المتاجر- عبر الطرق التجارية، وفصل في حكم سبأ، وأورد ملاحظات حول عدد من أقوام شبه الجزيرة العربية المتواجدة على شواطئ البحر الأحمر كالأنباط مثلا¹³.

ب- المصادر الرومانية:

وأما عن الفترة الرومانية فإنه يلاحظ استمرار اهتمام الكتاب القدامى بشبه الجزيرة العربية، بل تزايد اهتمام روما بالمنطقة، وذلك بسبب وصول توسعها إلى مشارف شبه الجزيرة العربية إضافة إلى رغبة الرومان في تأمين الخط الملاحي البحري من الشرق، لأن الخ البري القادم من الشرق الأقصى أصبح تحت تهديد الفريثيين في إيران، كذلك ازدياد استهلاك روما للطيبوب، لكل هذه الأسباب وغيرها ظهر عدد من الكتاب اهتموا بالمنطقة، منهم الجغرافي سترابون¹⁴ (Strabo)، كان يريد أن يجعل الجغرافيا من أدوات رجل السياسة لمعالجة شؤون العامة، من ذلك ما جاء في كتابه الأول الجغرافية الكبيرة، حيث استبعد عض الجوانب، وركز على أخرى، ومما ذكره تحول الطرق التجارية البحرية والموانئ من الجهة الشرقية للبحر الأحمر إلى الجهة الغربية، كما تعرض لنظام حكم بعض المناطق العربية بسبب أهميتها السياسية والاقتصادية والجغرافية، كما ذكر علاقة المنطقة بغيرها من الأمم، مضيفا في ذلك أمورا جديدة إلا أن ما ميز كتابه في هذه

الفترة هو ذلك الوصف الذي ذكره عن الحملة الرومانية على الجزيرة العربية، وهذه الحملة قادها إيليوس جالوس (Aelius Gallus)، وهو أول وال روماني على مصر، وتكمن أهمية ما كتبه سترابون هو أنه كان معاصراً للحملة الرومانية وصديقاً لقائدها، لهذا حصل على معلومات كثيرة عنها، فأفاض في وصف الحملة، ومن ذلك ذكره لأسباب الحملة وكذا دوافع أغسطس في إرسالها، ثم ذكر التحضيرات التي سبقت ولازمة الحملة، كما وصف الطرق التي اتبعتها، ثم ذكر الأخطاء التي وقع فيها قائد الحملة، وردود فعل روما إزاء نتيجتها.

والملاحظ أن تلك المعلومات كانت تهدف إلى تقديم معلومات للمثقف والسياسي على حد سواء، فإننا نقرأ جزءاً منها أكثر علمية وتوسع لدى عدد من كتاب هذه المرحلة، وأحد هؤلاء هو جايوس بلينيوس سيكوندوس (Gaius Plinius Secundus)، والمعروف بلينيوس الأكبر (23/24-79 م)، حيث تعرض لشؤون شبه الجزيرة العربية في دراسته الموسوعية: التاريخ الطبيعي (Histoire Naturalis)، حيث تحدث بتفصيل كبير عن كل القضايا التي تخص شبه الجزيرة العربية، المساحة والثروة والمدن والجبال...، والقبائل والأقوام وأسمائهم وأوضاعها الاقتصادية، ومختلف الطرق والمراكز التجارية، وخصص قسماً لطبوع شبه الجزيرة العربية وتوابعها، كاللبان والمر والمستكة وصباغ الأذن -ويدك تفاصيل عن أماكن تواجدها ومواسم جنيها والأسر التي تحتكر ملكيتها وأثمانها-...

وفي العصر الروماني أيضاً ظهرت مصادر أخرى اهتمت بشبه الجزيرة العربية وكتب الطواف، وهي استمرار لسابقتها (Periploi)، إلا أن هذه المصادر تميزت في هذه المرحلة بوفرة معلوماتها ودقتها، وأهمها الكتاب المعروف بعنوان: "الطواف حول البحر الأثيري"^{١٥}، حيث ذكر الطرق التجارية بين مصر والهند، وشواطئ شبه الجزيرة العربية، وأورد معلومات هامة تفيد الملاحون التجار، والكثير من المعلومات، كالمراسي والمسالك والأسواق، وأشار إلى علاقة روما بشبه الجزيرة العربية.

وظهر أيضا نوع آخر من الكتابات الرومانية اهتمت بشبه الجزيرة العربية، ومنها الدراسة الجغرافية التي قام بها كلاوديوس بطليموس (Claudius Ptolemaius)، وعرف لدى العرب باسم بطليموس الجغرافي أو بطليموس القلودي، ولقد حاول ضبط الحدود والتقسيمات عن طريق خطوط الطول والعرض، حيث رسم خريطة للمنطقة رغم ما اعتراها من هفوات إلا أنها تعد أدق ما وصل الباحثين عن المنطقة في الفترة القديمة، من ذلك أنه قسم شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام، وهب العربية الصحراوية (Arabia Deserta)، ثم العربية الصخرية أو الحجرية (Arabia Petrera)، ثم العربية الميمونة (Arabia Eudaemon)، هذه التقسيمات هي أكثرها توفيقا بين مختلف المناطق الجغرافية، ومميزات كل منها في شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى أهمية الخريطة التي رسمها رغم بعض الغموض الذي شابها¹⁶.

وهذه الفترة تبقى كتابات المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس (Flavius Josephus) -ولد في 37 أو 38م وتوفي حوالي نهاية القرن الأول الميلادي- من الكتابات التي عكست اهتمامات الرومان بالمنطقة، لقد جاء تاريخ كتاباته عن العرب بشكل غير مباشر، وذلك أثناء حديثه عن يهود المنطقة، ويظهر ذلك في كتابين له، الأول بعنوان: "تاريخ حرب اليهود ضد الرومان"، والذي ظهر ما بين 75 و 79م، أما كتابه الثاني فعنوانه: "أخبار اليهود القديمة" ظهر ما بين 93 و 94م، ويبدو أنه اعتمد على التوراة، وعلى نصوص قديمة أوردها نقولاس الدمشقي، أما الفترة التي عاصرها فإنه تمكن من الفصل فيها، بحكم مكانته الاجتماعية ومركزه الرسمي اللافت القومي لليهود، وأن الرومان قوة لا تهزم، ولهذا حاول قمع ثورة اليهود عندما كان حاكما على الجليل، في حين في كتابه عن أخبار اليهود القديمة، وفي فترة دوميتيانوس (Domitianus)، فإنه اتجه نحو الافتخار بالثقافة اليهودية والدين اليهودي¹⁷.

والملاحظ أن المؤرخين عدّوا الكثير من المآخذ على كتابات بوسيفوس، منها على سبيل المثال اعتماده على المؤرخين اليونان أمثال: ثوكيديداس

(Thukydides)، وهيدروت، وعلي سوفوكليس (Sophokles)، ويلاحظ أن هذا المؤرخ كثير التقصي فيما يخص أخبار العرب المتعلقة بعلاقتهم مع اليهود، ومن ذلك تلك التفاصيل التي أوردها حول الوزير البنطي سلايوس (Syllacus). أما عن فترة العصر الإمبراطوري الروماني المتأخر فإننا نجد نماذج أخرى من الكتابات التي اهتمت بالعرب، سواء من حيث الكتابة، أو من حيث المعلومات، حيث يلاحظ أن هناك أسباباً عدة لسيطرة أفكار معينة على توجهات هؤلاء الكتاب ولعل أهمها، انتشار المسيحية في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، ثم الصراع مع كل من الإمبراطورية الفارسية والبرابرة، مما جعل اهتمام الكتاب يهيمش المنطقة العربية، وما عدا تلك الإمارات الحدودية التي كانت على صلة بالرومان بشكل أو بآخر، وهما إمارتا المناذرة والغساسنة، إضافة إلى ظهور جنود عرب يحاربون إلى جانب الرومان والبرابرة. . .

ومن أرز مؤرخي هذه الفترة يوسيبوس (Eusebios)، كتب عن أحداث تاريخ اليونان والرومان تحت عنوان "الحوليات" "Chronika" وأورد فيه إشارات عابرة عن العرب، لكن في كتابه التاريخ الكنسي (Ekklesiastikes) Historias، جاءت فيه إشارات إلى العرب وبلاد العرب، وكل ما ذكره يتعلق بالديانة المسيحية سواء أشخاص أو أحداث.

والكتاب الذي يمثل هذه المرحلة هو اميانوس ماركلينوس (Marcellinus Amianus)، ألف كتاب عنوانه التواريخ (Historiae)، عالج فيه الفترة ما بين 96-378 م ضاعت من مؤلفة ثلاثة عشرة باباً، وبقي من الباب الرابع عشر إلى الباب الواحد والثلاثين، بحيث اشتملت على الأحداث الواقعة ما بين 353-378 م، وبالرغم من أنه أشار إلى العرب فقط إلا أن أهمية كتاباته تكمن في أنه كان معاصراً للأحداث التي أوردها، إضافة على كونه رجل عسكري، واحتك بالكثير من المجتمعات، رغم ذلك تبقى في كتاباته مبالغت عن العرب.

وهناك مؤرخ آخر يعود إلى هذه الفترة، وهو بروكوبيس (Prokopios)، مكنته وظائفه الرسمية التي تقلدها من زيارة الكثير من المناطق سواء في الشرق أو في الغرب، مما جعله يكتسب الكثير من الخبرة والمعارف، فاعتبر المؤرخون كتاباته ذات قيمة علمية كبيرة، ومن كتاباته كتاب المباني (Ktismata) جاء فيه إشارات قليلة للعرب¹⁹.

والواضح أن إشارات لا تميز بين عرب شبه الجزيرة والعربية والشعوب الأخرى، وفي كتابه "عن الحروب" (Hyperton polemon)²⁰، يقع في ثمانية أجزاء خصص الجزئين الأولين للحروب الفارسية البيزنطية، وفيهما تناول بإسهاب أوضاع العرب السياسية عند حديثه عن إمارتي الغساسنة والخميين، حيث تمثلان منقطة نفوذ الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، ودورهما في صراع القوتين، حيث ذكر مواقف إمارتي الغساسنة والمناذرة، وأبرز وضعها بين الإمبراطوريتين وكذا صراع الإماراتين فيما بينهما من ذلك الصراع الذي قام بين الحارث الثاني الغساني، والمندر ملك اللخميين، وتكمن في أهمية هذا المصدر في كونه شارك في الصراع وعان تطوراته عن كثب، سواء بالنسبة لأمر الداخلية، أو الخارجية، إضافة إلى كونه من المقربين من الإمبراطور البيزنطي، كما تحدث في جانب آخر عن العرب من الناحية المدنية والدينية والسياسية، وتعدى حديثه إلى عرب البادية وعرب الجنوب.

2- المصادر العربية:

وأما عن الكتابات العربية الإسلامية التي ظهرت في العصر الإسلامي، فإنها تناولت أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، فنلاحظ أن الباحث تعترضه صعوبات عدة، منها عدم معاصرة كتابها لما كتبوا عنه، بحيث أنهم تحدثوا عن أخبار تعود إلى سبعة عشر قرناً قبل عصرهم، في حين أن العرب حسب عدد من الدراسات، بدؤوا في الظهور على مسرح الأحداث التاريخية كهوية كاملة لها هويتها الجماعية ونظمها، وعلاقاتها الخارجية منذ القرن العاشر ق. م، فعلاقة النبي سليمان بمملكة سبأ، حسب التوراة والمؤرخين، تعود إلى القرن العاشر ق. م، كما أن تسجيل النصوص الآشورية لعلاقة الملوك الآشوريين بالعرب منذ عهد شليمنصر الثالث (824-858 ق. م)، أي أنها تعود إلى أواسط القرن التاسع ق. م.

كما أن الحديث لدى الكتاب القدامى يبدأ عن العرب وشبه جزيرة العرب في أواخر القرن الخامس ق. م²¹، في حين بدأ أول تدوين لأخبار العرب السابقين للإسلام في عهد معاوية بن أبي سفيان في أواسط القرن الأول هجري، أي في أواخر القرن السابع ميلادي²²، وهي مسافة زمنية طويلة بين وقوع الأحداث

وتدوينها، مما يضعف من قيمة هذه الكتابات خاصة أنها ذكرت تاريخ العرب منذ عهد سام بن نوح، إضافة على هذه المحاولة من قبيل كتاب الفترة الإسلامية بدءاً من عبيد بن شريح في أواسط القرن التاسع الهجري (أوائل القرن الخامس عشر ميلادي)، وما يلاحظ على هذا الأخير تميزه بالمنهج النقدي، وكان متردداً في قبول منهج كتاب العصور القديمة، كما شكك في إمكانية معرفة الأخبار المتعلقة بالعصور العربية الأولى حسب رواية كتاب العصر الإسلامي، حيث لخص آرائهم ووصل بالأنساب العربية إلى كل من قحطان وعدنان²³، وبالتالي فرغم منهجية النقد إلا أنه لم يتخلص من وطأة الكتابات التي وجه لها النقد فجاء تأريخه تقليدياً في الأغلب.

ونلاحظ أيضاً أن الكتابات العربية الإسلامية لا تذكر مصادرها أو تذكر بعض المصادر الفارسية أو البيزنطية، وذلك في سياق حديثهم عن ملوك الفرس أو البيزنطيين، وليس لكونها اطلعت على أحوال شبه الجزيرة العربية، مثل كتابات حمزة الأفهاني في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي)، أو اعتمدوا على الإخباريين الأوائل، مثل عبيد بن شريح، أو ابن الكلبي من كتاب صدر الإسلام، وهم لم يعاصروا الأحداث التي ذكروها، ومثال ذلك وهب بن منبه (توفي 110هـ-728م)، وهو يهودي الأصل قد يكون على اطلاع بالمصادر العبرانية المعاصرة لأحداث المنطقة قبل الإسلام لكن قوله: "قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء"²⁴، يجعلنا نتردد في قبول رأيه، والكاتب الثاني هو الهمداني (توفي 340هـ-951م)، صاحب كتاب الإكليل، إضافة إلى كتاباته ومعرفته بالخط المسند، أي يمكنه قراءة النقوش اليمنية الباقية، حيث أورد بعربية فصيحة، إلا أنه عندما أورد شعراً من بعض النقوش المسندة منها:

شحررا قصر العلا المنيف	أسه تبـع ينوف
سكنه القيل ذي معاهـر	تخر قدماء الأنوف ²⁵

حيث يتردد المتخصصون في قبول نصده وتراحمته، وذلك أن ضمن النقوش التي تم اكتشافها، وترجمتها لم يعر على نص شعري بالعربية الفصحى، وأيضاً نصاً

شعريا واحدا، ذلك أن اللغة الشمالية تكون معروفة عند الجنوبيين كلغة عامة في المعاملات التجارية أو المباريات الشعرية، ولكن ليس هنالك ما يدعو إلى استخدامها في كتابة نقش رسمي محلي كالنص المذكور، ومن هناك يذكر المختصون²⁶ أن الحمداني إما أنه لم يكن على دراية بلغة المنقوش فاكفى بتسجيل ما سمعه، أو أنه يعرف لغة النقوش، ويتصرف الترجمة حسب إرادته إلى درجة صياغته شعرا فصيحاً، مما يبعد هذا المصدر (النقش) عن موضوعه، ومضمونه، ويضعف من قيمته كمصدر تاريخي.

والمتبع لهذه الكتابات العربية الإسلامية يجدها تتميز بأسلوب قصصي يصل بعضها إلى الحديث الأسطوري كلما أوغل صاحبه في الماضي إلى آدم عليه السلام، وهذا الأسلوب يبدو أن عبيد بن شريه يعترف به، فقد ظهر ذلك في رواية لمعاوية بن أبي سفيان الذي طلب منه دعمها بأشعار على لسان عاد وثمود وغيرها من القبائل العربية البائدة، لغة عربية فصحي.

إلا أن المؤرخين لا يقرون بذلك، حيث عاد لم يصلنا شيء عنها إلا ما ذكره القرآن الكريم، أم ثمود فلقد وصلت المؤرخين نقوش كثيرة عنهم لكنها ليست بالعربية الفصحى²⁷، وذكرها القرآن الكريم أيضاً، ويظهر أن هذا الأسلوب القصصي كان مرفوضاً من قبل كتاب العصر الإسلامي اللاحق، من ذلك الطبري يقول: "فما يكن في كتابي هذا من خير ذكرناه عن الماضيين مما يستنكره قارئه، أو لا يستسيغه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدبنا ذلك على ما أدى إلينا"²⁸. أما ابن خلدون فقد أعلنها صراحة قائلاً عن أصحاب هذه الكتابات: "نحوا فيها منحى القصص، وجروا على أساليبهم، ولم يلتزموا فيها الصحة، ولا ضمنوا لنا الوثوق بها، فلا ينبغي التعويل عليها، وترك شأنها"²⁹. إلا أنه لا حكم بعد أهمية هذه الكتابات.

إنما أهميتها تكمن حسب درجة بعد الأخبار التي أوردتها، مثال ذلك ما جاء به عبيد بن شريه عن ملوك الحيرة والغساسنة القريبين من ظهور الإسلام، وعن الحملة الحبشية التي أرسلت من اليمن إلى الحجاز لهدم الكعبة، وكذا عن سنوات

القح والجفاف، وعن أيام العرب، وعن الأصنام والطقوس العربية القديمة، وذلك لأن عبيد بن شريه كان مخضرمًا، عاصر الجاهلية والإسلام، وبالتالي عاصر أحداثًا في الفترتين. والمثال هو ما جاء به ابن الكلبي (204هـ-819م) في كتابه الأصنام عن عبادات العرب القديمة. وما أورده عن الأحجار المقدسة، والأصنام والأنصاب والأوثان، وعن بيوت العبادات التي عظمها العرب، مثل الكعبة وكعبة نجران، وعن طقوس العبادة والحج القديم، وعن اليهودية والنصرانية والحنفية، وبالتالي يبقى الاعتماد على ابن الكلبي قائمًا، خاصة وأن آثار بيوت العبادة هذه ظلت قائمة حتى الفترة الإسلامية³⁰، وبعضها استمر إلى العصر الحديث، حيث اكتشفها ودرسها الأثريون منها معبد المقه إله القمر عند السبئيين، الذي كان لا يزال يعرف بمحرم بلقيس. ونفس القول ينطبق على الجزء الثامن من كتاب (الإكليل) للهمداني³¹، (وهو واحد من الأجزاء الأربعة التي وصلت المؤرخين، وهي الأول والثاني، والثامن، والعاشر)، وفي الجزء المذكور أورد أخبار عن آثار اليمن، قصورها، مدنها، سدودها، حصونها، وهياكلها، إضافة إلى أن هذه الآثار كانت لا تزال موجودة في عصره، فإن الرجل يمني مكنته الظروف من الإطلاع عن كثب على تلك الآثار، والإحاطة بمكوناتها أكثر من غيره.

أما من الناحية الجغرافية لشبه الجزيرة العربية لفترة ما قبل الإسلام فإنه يمكن الرجوع إلى ما جاء به عبيد بن شريه عن بعض المناطق مثل الأحقاف، والحجر ووادي القرى واليمامة، إضافة إلى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني³²، حيث أورد معلومات عن الآثار، ووصفا جغرافيا للعديد من المناطق مع تحديد أسمائها التي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، واستمرت إلى زمن الكاتب، مما مكن الباحثين من مقارنتها مع ما جاء به القدامى والبحوث الأثرية.

وعليه فالكتابات العربية التي ظهرت في الفترة الإسلامية تعد مصدرا أساسيا فيما يتعلق بالعصر الإسلامي وأنها عاصرت أحداثه، في حين تفقد في عمومها قيمتها التاريخية للاعتماد عليها في العصور السابقة للإسلام، وذلك لطغيان الطابع الأسطوري والأسلوب القصصي في تأريخها، وهو ما يتنافى والكتابة العلمية لتاريخ.

هوامش الدراسة:

I- لطفي عبد الوهاب يحى، هوميروس، تاريخ حياة عصر الإسكندرية، 1968، ص 35-40.

2- Lutfi A.W From Homer to Hesiod. Arch. Hist. Studies. 4. The Arch. Of Alexandria. 1971. Pp3-7.

Herdots, Histoires, V, 169,86.

3- Ibid, III, 107.

4- Ibid, III, 113.

5- نفس المصدر: عن التربة أنظر: I2، II، والتقاليد أنظر: III، 8، I، 199، عن

الأسلحة وطرق الحرب أنظر: VII، II97، والطيب والتوابل أنظر: I3، III،

IO7، III، عن تجاربهم بشكل عام أنظر: III، III، عن الوساطة الفينيكية بين

مناطق إنتاج البخور والطيب العربية أنظر: IO7، III، وعن استهلاك البخور

والطيب في بلاد اليونان أنظر:

Bury, J.B. A history of Greece, 1952, PP 367-378.

6- أنظر أمثلة من:

Amianos, Anabasis.

Ptolemais-Klaudios, Geographike, Hypogosis.

Strabo, Geographi transit, B4, R.A London ; 1913k p104.

7- Arrianos, 19-6-20 20 : 8-10.

8- Theophrastos, peri phyton Histoires, IX, 4.

9- Strabo, XVI, 4, 2.

10- Ibid, XVI, 4, 2, 3, 4 113.

I- أنظر:

W.H. Warmingtons , Agatharchides, Ocd.

C. Mueller, Geographici, greaminers.

2- عن كتاب الطوائف أنظر: Gisinger, Periplus.

3- عن Artenedoios منقول في I9: 4، XVI، Strabo.

4- Ibid, XVI, I.I : 16-18.

5- Ibid, XVI, I.I : 25-6 وكذا XVI, 4 : 22-24.

6- الكتاب محرر باليونانية وعرفت تحت عنوان باللاتينية Periplus Maris Erythraei

ويحتل أنه ظهر في القرن الأول الميلادي أنظر: Anderson, CAH. TI

وهناك رأي آخر يقول أنه ظهر في القرن الأول الميلادي أنظر:

Jacqueline pirenne, la date de periplée de la mer Erythrée T A 1916, p44.

17- Ptolemainos, Gegr, 14 :5, 18, 19.

- 18- H. St. J. Thackeray, Josephus, the man and the Historian, N.Y.1929, pp XIV-XV.
- 19- Eusebios, EKK, Hist, I, 19 : 15.
- 20- Ibid, VI, 42 : 3-4.
- 21- Porkopios, Ktismata, V,8 : 7-9.
- 22- لطفي عبد الوهاب يحيى، مدخل حضاري في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، 1991، ص 18.
- 23- أول تدوين في العصر الإسلامي عن أخبار الجزيرة في عصر ما قبل الإسلام هو عند عبيد بن شربة، فقد ذكر ابن النديم في الفهرست، أن معاوية أمر عبيد بن شربة أن يدون أخبار العرب والعجم، وتوفي معاوية في 60 هـ.
- 24- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة، 1965م، ج2، ص 3، 4، 8، 19، 304.
- 25- كان حمزة الأصفهاني إيرانيًا ومن ثم على دراية باللغة الفارسية، ولجأ إلى من يترجم له كتب البيزنطية المكتوبة باللغة اليونانية الوسيطة.
- وكذا: وهب بن منية، كتاب التيجان في ملوط حمير، حيدر آباد، الدكن، 1347هـ، ص 2.
- وكذا: الهمداني، كتاب الإكليل، ج8، ط برنستن، 1940، يورد نقشا في لغة عربية مسجوعة، ص42، ونقشا من شعرا، ص 53.
- 26- لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 228-234.
- 27- عبيد بن شربة، أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، في (ملحق لكتاب التيجان في ملوط حمير، لوهب بن منية)، ص 312.
- 28- الطبري، كتاب الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، 1960، ج1، ص 8.
- 29- ابن خلدون، المرجع السابق، ج2، ص 8.
- 30- ابن الكلبي، كتاب الأصنام، طبعة بولاق، 1332، ص 50-56.
- 31- الهمداني، الإكليل، تحقيق نبيه فارس، بونستن 1940.
- 32- الهمداني، صفة جزيرة العرب، القاهرة، 19-53.